بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة، بعنوان: (إنَ من الشجر شجرةً لا يَسقط ورقُها...)

حديث النخلة: وخمسون مبدأ تربويا ملهما؛ لبناء الإنسان الصالح

سبْق النبي (ﷺ) إلى ابتكار أرقى الأساليب التربوية الرشيدة

فن السؤال وآثاره المثمرة والبناءة في التربية النبوية

بقلم الدكتور/ أحمد علي سليمان
عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

الجمعة: ٢٨ صفر ١٤٤٧هـ، الموافق ٢٢ أغسطس ٢٠٢٥م
موقع صوت الدعاة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، أحمده سبحانه وأشكره.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل الفوز باتباع منهج الله العظيم، والهداية في اتباع رسوله الكريم، والرحمة في التمسك بسنته (ﷺ)، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيُّه من خلقه وخليله، بعثه الله رحمةً للعالمين، ومعلِّمًا ومربيًا للناس أجمعين، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطيبين وأصحابه الغُرّ الميامين، وعلى مَن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان، الأشرفان الأنوران، الأعطران الأزهران، المزهران المثمران، على مَن جُمعت كلّ الكمالات فيه.. وعلى آله وصحبه وتابعيه..

يا رب بالمصطفى بلغ مقاصدنا... واغفر لنا ما مضى يا واسع الكرم
مولاي صلّ وسلم دائما أبدًا... على حبيبك خير الخلق كلهم

اللهم رضِّه عنَّا، وارض عنَّا، برضاه عنَّا.. ووضئنا بأخلاقه العظيمة، وحقق أمانينا بزيارته، وافتح لنا أبواب رؤيته، ونيل شفاعته، اللهم آمين يا رب العالمين...

أيها المسلمون: أوصيكم ونفسي المقصرة بتقوى الله، فإنها وصية الله للأولين والآخرين، قال تعالى: (...وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ..) (النساء: ١٣١)، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢)، وقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) (الأحزاب: ٧٠-٧١).

وقال الكريم جل وعلا: (...وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) (البقرة: ٢٢٣).

أما بعد... أيها المؤمنون:

حديثنا اليوم أيها السادة يدور حول موضوع عظيم الشأن، جليل القدر، بالغ الأهمية، ألا وهو: منهج النبي الأعظم (ﷺ) في التربية والتعليم والتهذيب والنصح والإرشاد والدعوة، وبناء الإنسان، ذلكم المنهج الذي لم يقتصر على الكلام **ولا على الفلسفات الجدلية العقيمة، كلا؛ بل إنه كان تربيةً شاملةً للنفوس، وتهذيبًا للقلوب، وتقويما للسلوك، وغرسًا للقيم، وصناعةً للرجال والأبطال، وصياغةً للحياة وفق منهج الله تعالى**، وبناءً للأمة الملاحمة المتراحمة العادلة القوية المهيبة والمهابة، التي لا تخشى أحدا إلا الله، ولا تعتدي على أحد من خلق الله، بل إن كل المسالمين غير المعتدين يعيشون في رحابها وفي كنفها وفي معيتها وفي ظلالها في سلام وأمان ومودة واستقرار... ولقد كان التاريخ الإسلامي في عصور حضارتنا الزاهرة، شاهد عيان على ذلك... قال تعالى: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ..) (آل عمران: ١١٠)، وهكذا فإن خيرية الأمة نابعةٌ من ثلاثة محددات أساسية، وهي:

الأول: الإيمان بالله

الثاني: الأمر بالمعروف

الثالث: النهي عن المنكر

ورسولُنا الكريم (ﷺ) هو الذي علّمنا ذلك، وربّانا على ذلك، بأرقى الطرائق، وأجمل الأساليب التربوية، كما سيتضح في المحاور التالية.

- ولقد ربَّى النبيُّ العظيم (ﷺ) أصحابَه بسلوكه وقدوته قبل كلمته.
- وربَّاهم أيضا بالكلمة الطيبة الصادقة ذات الأصول الطيبة الثابتة والفروع الجميلة المزهرة المثمرة المظللة التي تمتد في السماء.
- وربَّاهم بالمواقف العملية والأحوال المؤثرة.
- وربَّاهم بأرقى الأساليب التربوية الرشيدة؛ فحوَّلهم من أقوامٍ متناحرين متصارعين غير هانئين بالأمن والأمان والسلام إلى أربابِ تسامح وتسامي وسلمٍ وسلام ووئام، وحولهم بفضل الله من جماعاتٍ متفرقة متشتتة إلى قادةٍ حملوا مشاعل النور، وأمانةَ الرسالة، فأضاءوا الدنيا بالعلم والإيمان.

وسبحان الله! ما أعظم عطاءات هذه المدرسة النبوية الشريفة والخالدة، التي لا ينقطع عطاؤها، ولا ينضب معينها، ولا يخبو سناها ولا إشعاعها... إنها مدرسةٌ ممتدةُ العطاء، دائمةُ الإمداد، ولا ريب في أن حاجة الأمة إليها اليوم أشدّ من أي وقتٍ مضى، في ظلّ التحديات والانحرافات والشبهات التي تحيط بشبابنا وأجيالنا من كل مكان؛ ومن فضل الله علينا أنه كلما تباعد الزمان بيننا وبين رسولنا الأعظم ازددنا حبًّا له، وشوقًا إليه، وحاجةً إلى منهاجه التربوي العظيم.

ومن هنا كان لزامًا علينا أن نستضيء بهدي النبي (ﷺ)، فنستلهم منهجه في التربية؛ لنضيئ به قلوبنا، ونصلح به بيوتنا، ونبني به مجتمعاتنا، فتعود الأمة كما أرادها الله: أُمة الخير.. شاهدةً، رائدةً، ناهضةً، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله.

أعظمُ المُربّين

سبْقُ النَّبي إلى ابْتكارِ أرْقى الأساليبِ التَّربوية الرَّشيدة

لم يتزيَّنِ التاريخُ الإنساني المديدُ بأحدٍ أعلمَ ولا أحكمَ من سيدِنا محمدٍ (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وآلِه وسلَّمَ)؛ فقد جمعَ إلى سَعةِ العلم، وبديعِ الفهم، وفنونِ المعرفة؛ حُسنَ الخُلُق، ولُطفَ التعامل، والرِّفقَ في التربيةِ والتعليم، والتواضُعَ للمُتعلمين.

ولما كانت رسالةُ الإسلام عالميةً وخاتمةً للرسالات وجاءتْ للدنيا كلها، فقد كانت أساليبُ النبيِّ العظيم، وطرقُه في التربية، والتعليم، والدعوة، والإرشاد، والتهذيب؛ هي الأخرى عالميةً تُناسب عالميةَ الرسالة والرسول وخاتميتها، وتتَّسق مع صلاحيتِها لكلِّ زمانٍ ومكان وحال.

ولقد حرصَ النبيُّ العظيم (ﷺ) على الاهتمام بأهمِّ عناصرِ العمليَّةِ التَّربوية والتَّعليمية: المتعلم، والمعلم، والرسالة، والطرائق، والوسائط، والأنشطة، والبيئة التعليمية المحفزة، وكانت إشاداتُه بمكانةِ طالبِ العلمِ والعلماء بمثابةِ رَفع الدافعيَّة لديهما، والإشادة بصَنيعِهما.

قال (ﷺ): (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا، سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ)[١].

السَّبقُ النَّبوي العظيمُ في هذا المجال:

سبَقَ النبيُّ (ﷺ) العالمَ والحضارات في استخدامِ أرقى استراتيجياتِ التعليم، وأفضلِ طُرُقه، وتَطبيقها قبلَ العالم بمئات السنين، ولِمَ لا وهو الذي أرسلَه اللهُ (تعالى) بدستور دَساتير التربية الرَّشيدة؛ وهو القرآنُ العظيم...

ولقد اعتمد في منهجه التطبيقي مَنهجيّات التربية الرَّشيدة، وأساليبها المتنوعة والمبتكرة، والتي يصفها الباحثون اليوم بأنها "أساليب حديثة وفعّالة"، فكان نَهجه جامعًا بين العلم والإيمان، العمل والإتقان، الرحمة والجدية، فلا يُغفل جانبَ اللطف والرفق في التعامل مع النفوس، وفي الوقت نفسه يُحافظ على الحزم والانضباط عند الضرورة.

ومنحه الله فهما عميقًا بطبيعة النفس البشرية وظروف الناس وأحوالهم المختلفة، فكان يراعي قدراتهم، ومواهبهم، وإمكاناتهم، ومواقفهم وحاجاتهم النفسية والاجتماعية... ومن ثم يصوغ خطابه وأسلوبه بما يتناسب مع كل فرد أو مجموعة، حتى يكون التعليم والتربية عملية فعّالة ومؤثرة ومثمرة، وبانية...

ومن أبرز هذه الأساليب:

١. **رفع الدافعية لدى المتعلّم:** فكان (ﷺ) يحفّز أصحابه، ويذكرهم بفضل العلم والعمل الصالح لتحفيزهم على التعلم المستمر ، قال تعالى: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ...) (المجادلة: ١١).
٢. **مراعاة الوقت والظرف والمكان المناسب:** كان (ﷺ) يختار الوقت المناسب، وكذا الظرف والمكان المناسبين للتعليم والتربية وتوجيه النصائح.
٣. **مراعاة تنوع البيئات:** كان (ﷺ) يُعلِّم الصحابة في المسجد، وفي السفر، وفي البيوت، ويصوغ أسلوبه حسب مقضيات الموقف، وحال الإنسان وعلى حسب الظروف والسياق.
٤. **مراعاة اختلاف قدرات الناس:** كان يعلم الكبير والصغير، القوي والضعيف، الرجل والمرأة، فمثلاً كان ييسر المفاهيم لعبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) حين كان صغيرًا، ويعطي تفصيلات أعمق وأوسع للكبار.

(١) أخرجه الإمامان: أبو داود، وابن ماجه.

٥. **تفريد التعليم:** كل شخص كان له أسلوب، فقد كان يواسي المرأة بالرفق، ويشد على الرجل بالنصيحة المباشرة، ويخاطب الأطفال بالقصص وبما ينساب عقولهم وفهومهم.

ومن أساليبه التربوية الرائعة والسباقة للعالم:

- **التربية بالرفق**: من أمثلتها ما حدث مع الأعرابي الذي بال في المسجد، إذ لم يوبخه النبي (ﷺ)، بل وجَّهَه بلطف، وأمر الصحابة بالرفق به، فكان في ذلك درس بليغ في أن الرفق أعمق أثرًا في تقويم السلوك من الغلظة والعنف.
- **التربية بالتواضع**: فقد كان النبي (ﷺ) يجالس الصغير والكبير على حدٍّ سواء، ولا يستعلي على أحد، بل يشاركهم مجالسهم، ويأنس بهم، ويشعر كل مَن يجلس معه أنه قريب منه، وهكذا أثمرت التربية بالتواضع أبلغ درس في التربية من أي قول..
- **التربية بالحوار الهادئ المقنع**: فقد كان النبي ﷺ يحاور الناس بالحجة والبرهان، ويعتمد أسلوب الشورى والمناقشة، موضحًا لهم الحقائق بلطف وأسلوب هادئ، فيرسخ المعنى في نفوسهم، ويجعلهم يقتنعون بالحق عن قناعة لا عن إكراه.
- **التربية بالحب**: فقد كان النبي (ﷺ) يُظهر محبته للصحابة، فيدعمهم في مهامهم، ويثني عليهم، ويدعو لهم، حتى شعر كل واحدٍ منهم أنه محل عناية خاصة، فكان للحب أثره العميق في غرس الثقة والطمأنينة في قلوبهم.
- **التربية بحسن المعاملة والرحمة**: كان النبي (ﷺ) يعامل الناس والضعفاء واليتامى والصغار بغاية الحنان والعطف، فيحتويهم برحمته، ويغرس في نفوسهم الشعور بالأمان، ويحفزهم على التعلم والعمل، فكانت أبلغ وسائل التربية وأعمقها أثرًا.
- **التربية بالتشبيهات اللطيفة**: فقد استخدم النبي (ﷺ) الأسلوب التصويري المؤثر، فمثلا: شبَّه المسلم بالنخلة، لما فيها من ثباتٍ وعطاءٍ وخيرٍ دائم، ليقرّب المعنى إلى الأذهان، ويغرس القيم في القلوب ببيان بليغ.
- **التربية بالمداعبة**: فقد كان النبي (ﷺ) يلاعب الحسن والحسين (رضي الله عنهما)، ويلاطف الصغار عمومًا، فيغرس في نفوسهم المعاني التربوية بطريقة مرحة محببة، تربطهم به وبالرسالة التربوية المقصودة.
- **التربية بتناسق العبارات والسجع الحسن**: وهو أسلوب نبوي بليغ، ظهرت أمثلته كثيرا، حيث كان كلامه (ﷺ) موزونًا سلسًا، يسهل حفظه وفهمه، ومن ذلك قوله (ﷺ): (كَلِمَتانِ خَفِيفَتانِ علَى اللِّسانِ، ثَقِيلَتانِ في المِيزانِ ، حَبِيبَتانِ إلى الرَّحْمَنِ: سُبْحانَ اللَّهِ العَظِيمِ ، سُبْحانَ اللَّهِ وبِحَمْدِهِ) [٢].
- **التربية بالتمثيل والصورة الجميلة**: كان النبي (عليه الصلاة والسلام) يضرب الأمثال العملية المؤثرة، ويقدّم الصور البلاغية الجميلة، لتقريب المعاني إلى الأذهان، وتثبيتها في القلوب.

التربية بالاستفهام وإثارة الانتباه: كان يسأل الصحابة، أسئلة متنوعة، ومن ذلك، قوله (ﷺ): (أَتَدرونَ مَن المُفلِسُ)[٣]؛ ليثير الاهتمام والتفكير والمشاركة.

- **التربية بالوسيلة التعليمية**: استخدم أشياء من الحياة اليومية، مثل السيف أو العصا لتقريب المعنى وتثبيته.
- **التربية باغتنام المناسبة**: لما رأى النبي (ﷺ) غلامًا يأكل من كل جوانب الصحفة، استثمر الفرصة وعلّمه فعن عمر بن أبي سلمة (رضي الله عنه)، قال: "كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسولِ اللَّهِ (ﷺ)، وكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ في الصَّحْفَةِ، فَقالَ لِي رَسولُ اللَّهِ (ﷺ): (يا غُلَامُ، سَمِّ اللَّهَ، وكُلْ بيَمِينِكَ، وكُلْ ممَّا يَلِيكَ) فَما زَالَتْ تِلكَ طِعْمَتِي بَعْدُ. [٤] فكان الموقف العملي مناسبة لغرس آداب الطعام في نفس الغلام.

---

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.
(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، والترمذي، وأحمد واللفظ له.
(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

- **التربية بالقصة**: ومن ذلك: قصة الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة فكانت درسًا بليغًا في التوسل بالعمل الصالح، وقصة الرجل الذي قتل مائة نفس لتدل على أن باب التوبة مفتوح مهما عظمت الذنوب، وقصة أصحاب الغار لتجسّد قيمة الصدق والإخلاص في الشدائد، وقصة أصحاب الأخدود لتغرس معنى الثبات على العقيدة أمام الطغيان، وقصة جريج العابد لتبين أثر برّ الوالدين ومقام الاستجابة لدعائهما، وكذلك قصة الرجل الأبرص والأقرع والأعمى التي تؤكد أن شكر النعمة سببٌ لدوامها، وقصة المرأة التي حبست القطة، فلا هي أطعمتها، ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض، فاستحقت العذاب، فضلًا عن قصة الرجل الذي سقى كلبًا فغفر الله له، وغيرها من القصص التي جسدت المنهج النبوي في التربية والتعليم.
- **التربية بتغيير الهيئة**: فقد كان النبي (ﷺ) يغيّر من هيئة جسده وتعبيرات وجهه، كما كان ينوّع في نبرات صوته، فيرفع صوته أحيانًا ويخفضه أحيانًا أخرى بحسب الموقف، ليُحدث التأثير النفسي المطلوب، ويشد انتباه السامعين، فيرسخ المعنى في قلوبهم وعقولهم.
- **التربية بالتكرار**: هو أسلوب نبوي فعّال، إذ كان النبي (ﷺ) يكرّر الكلمة أو العبارة حتى تترسخ في النفوس، كما في وصيته الجامعة: «لا تغضب»، التي كرّرها مرارًا لتؤكد أهمية كظم الغيظ وضبط النفس.
- **التربية بإظهار الغضب والانفعال عند الحاجة**: حين ارتكب طلب أحد الصحابة أمرا فيه انتكاك لأحكام الله (تعالى)، أظهر جدية الموقف بالغضب الرمزي؛ ليبيّن خطورة الموقف، ويغرس في نفوسهم عِظم المخالفة، فيكون ذلك أبلغ في التربية والتعليم من مجرد القول الهادئ.
- **التربية بإجابة السائل بما يناسب إمكاناته العقلية**: هو منهج نبوي رفيع، حيث كان النبي (ﷺ) يجيب كل سائل بما يلائم إدراكه ومستواه، فيقرّب المعنى للصحابة، ويبسّطه للأعراب، ويوسّعه لأهل الحضر والعارفين، فكانت إجاباته تتنوع بحسب حال السامع، مما جعل التعليم أكثر رسوخًا وأعمق أثرًا.
- **التربية بالتخول (التعهد بالموعظة)**: حيث كان يختار الوقت المناسب للتربية والتعليم والشرح والبيان.
- **التربية بالقدوة** [٥]: فقد كان (ﷺ) قدوةً ومثالًا ونبراسًا في كل شيء، ومع كل الناس، وفي كل حال، فالتربية بالقدوة أعمق أثرًا من مجرد الكلام.

أنموذج من التربية النبوية:

كان النبيُّ (عليه الصلاةُ والسَّلام) يراعي الفروقَ الفَردية بين الناس، ويُراعي حالَ السائل، وطبيعةَ بيئتِه، ونمطَ شَخصيتِه، وطبيعةَ تكوينه وثقافته، وما يَصلح له، وما يصلح به، وما يُصلحه... انظر للمثالين التاليين، السؤال واحد، بيد أن الإجابة مختلفة:

ذهب أبو ذرٍّ الغفاري (رضيَ اللهُ عَنْه) للنبي (ﷺ) وقال له: **أوصني يا رسولَ الله**، فقال له النبيُّ العظيم: (اتَّقِ اللهَ حيثما كُنْتَ، وأتبعِ السَّيِّئةَ الحَسَنةَ تَمْحُها، وخالِقِ الناسَ بخُلُق حسَن)[٦].

وجاءه رجلٌ فقالَ **أوصني يا رسولَ الله**، فقالَ: (لا تَغْضَبْ). فَرَدَّدَ مِرَارًا، قالَ: (لا تَغْضَبْ)[٧].

وهنا أجاب النبي (ﷺ) بإجابتين مختلفتين، على السؤال نفسه، مراعاة لحال السائل وبيئه وطبيعته...إلخ، ففي إجابته على الأول قدَّم له ثلاثيةً بانيةً للإيمان، والقيم، والتعايش...

وفي إجابته على الثاني استخدمَ النبيُّ (ﷺ) التعليمَ بالتّكرار؛ نظرًا لخطورة هذه القضية؛ ذلك أن الغضبَ قد يؤدّي إلى مشكلات، وأزمات؛ لذلك وهو يُعلم أصحابَه والمسلمين مِن بَعده كان حريصًا على تَعليمهم وتَدريبهم

(٥) لمزيدمن المعلومات، راجع: د/ ناصر بن مسفر الزهراني: السيرة النبوية اليسيرة (مرجع سابق)، ص ٧٩٠-٧٩٨.
(٦) أخرجه شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند برقم٢١٤٠٣ وهو: حسن لغيره.
(٧) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

على كظْمِ الغَيظ، وعلى مجاهَدة النَّفسِ وضَبطها –فهي أشَدُّ مِن مُجاهدةِ العَدُوِّ– وعلى البُعد عن الغضب... فعن أبي هُريرةَ (رضيَ اللهُ عَنْه): أنَّ النَّبيَّ (ﷺ) قال: (ليسَ الشَّديدُ بالصُّرَعَةِ، إنَّما الشَّديدُ الذي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ)(٨).

فلا تَظُنُّوا أيها الناس أنَّ الرَّجل القويَّ هو ذلكم الذي يَتمتَّعُ بقوَّة بَدنيَّة كبيرةٍ يَستطيعُ بها أنْ يَصرَعَ الآخَرين، كلا؛ ولكنه الرجلُ القويُّ في إرادتِه، القويُّ في رَحمته، القويُّ في حكمته، الحكيمُ في تَصرُّفاته وفي الحفاظِ على علاقاته، مُتحلِّيًا بأخلاق النبوَّة، قادرًا على التَّحكم في نفْسِه عندَ الغَضبِ وعندَ المشكلات والملمّات والأزمات، الحليمُ الكاظم غَيْظَه، المانعُ نفْسَه عن إيذاءِ النَّاسِ.

ومن ثَمَّ فإنَّ مُقاومةَ الغضبِ وامْتلاكَ النَّفسِ عند وُقوعِه تعدُّ مِن فضائل الأعمالِ الصَّالحةِ الَّتي يُثابُ عليها الإنسان. وهنا تأتي أهميةُ التربية على كظم الغيظ ومن ثم المسارعةِ إلى مَغفرة الله بمقوّماتها الواردة في قولِ الحقّ (سبحانه وتعالى): (وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ. وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ. أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) (آل عمران: ١٣٣-١٣٦).

أهمية السؤال في التربية والتعليم:

هناك أساليب وطرائق واستراتيجيات تربوية متعددة ومتنوعة، –وهو علم كبير– ولكل منها استخدام، ومن بينها فن السؤال ومردوده التربوي...

والسؤال أيها القارئ الكريم يُنمّي الفضول العلمي، ويحفّز الشخص على حُبّ الاستطلاع واكتشاف المجهول ومعرفة الجديد، كما يساعده على بناء الثقة بين المربي والمتربي، إذ يعطي المتعلم إحساسًا بأن صوته مسموع وأنه شريك فعّال في العملية التربوية.

والسؤال يُعلّم التفكير النقدي، فيدرّب العقل على التمييز بين الصواب والخطأ، والدليل والشبهة، ويفتح أبواب الحوار بين الأجيال، فيربط التلميذ بالمعلّم والابن بالوالد، ويجعل عملية التربية حوارية وليست أوامرية... والنفس البشرية تأنف من الأوامر وتألف الحوار والتحفيز والمشاركة وكلها مكنونة في منهجية السؤال.

كما يربّي فن السؤال على الدقة والوضوح؛ لأن صياغة السؤال الصحيح تعد نصف الطريق نحو الإجابة الصحيحة، ويصبح وسيلة للتقويم الذاتي، إذ يبدأ الإنسان رحلة الإصلاح الداخلي حين يسأل نفسه: "هل أنا على صواب؟ هل قصّرت؟"، كما يُنمّي مهارة البحث العلمي عبر التوجه للقراءة والتدبر والتأمل والتحليل والتركيب وإعمال العقل والمقارنة والاستدلال...إلخ.

السؤال أداة أساسية لتنمية العقل والفكر، فهو يفتح أبواب المعرفة على مصراعيها، ويحوّل التعلم من تلقين سلبي إلى حوار وتفاعل... ومن خلاله أيضًا يتعلم المتعلم ويتدرب عمليا على التواضع والاعتماد على التفكير، ويزداد فضوله وحبه للاستطلاع، وأيضا يتدرّب عقله على التمييز بين الصواب والخطأ.

وفي حياتنا اليومية، سواء في المدرسة أو الأسرة أو مكان العمل، يساعد السؤال على تثبيت المعلومات وفهمها بعمق، ويجعل النقاش والحوار وسيلة تربوية فعّالة، ويحفّز المتعلم على المشاركة بدلاً من التلقي السلبي.

فمثلاً، عندما يسأل الأب طِفله: "كيف يمكننا توفير الماء في المنزل؟"، وهنا لا يكتفي الطفل بالإجابة الجاهزة، بل إنه يفكر ويتأمل ويقترح حلولًا، ويتعلّم في الوقت نفسه مسؤولية المشاركة وحل المشكلات.

(٨) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه

كما يكشف السؤال مستوى الفهم ويعزز مهارة البحث، ويبني الثقة بين المربي والمتربي، وهو أيضًا طريق لبناء الإيمان، قال تعالى: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (النحل: ٤٣)، فأهلُ الذِّكرِ في الطبِّ هم الأطباء، وفي الفقهِ هم الفقهاء، ولا يُغني أحدُ التخصّصَين عن الآخر؛ فلا الطبُّ يُغني عن الفقه، ولا الفقهُ يُغني عن الطب.

غير أنّ هذه العلوم –عند التأمل فيها– فإنها تُعمِّق الإيمان، فالطبيبُ حين يشاهد بدقةٍ وإبداع وإعجاز خلقَ الجهاز الدوري، والجهاز الهضمي، والجهاز العصبي، والجهاز التنفسي، وكيفيةَ تناغم أجهزة الجسد المختلفة: من قلبٍ، وكبدٍ، وكُلى، وبنكرياس، ورئتين... يرى عظمة الإعجاز الإلهي المبهر والمدهش والمذهل، فيزداد إيمانُه، ويمكن أن يُنشَر هذا المعنى في كل مكان.

فن السؤال في التربية النبوية ومردوده الإيجابي:

لقد كان سيّدُنا محمدٌ (ﷺ) المعلِّمَ الأولَ لحضارة المسلمين، كما تعلم منه كثير من رجال التربية في كل مكان وزمان، فقد أرسى دعائم التربية والتعليم في أبهى صورها، ورسم للإنسانية منهجًا تربويًّا خالدًا.

وإذا أمعنّا النظر في سيرته العطرة، وجدنا أن من أعظم أساليبه التربوية: طرح الأسئلة على أصحابه؛ إذ لم تكن أسئلته لمجرد الاستفهام، بل كانت مدخلًا رفيعًا لتحريك العقول، وإشعال القلوب، وإشغال الذهن بقضية السؤال، وإيصال المعاني في صورةٍ أعمقَ أثرًا، وأقربَ إلى النفس، وأثبتَ في الوجدان.

لقد اعتمد النبي (ﷺ) على الأسلوب الحواري القائم على السؤال والجواب، فجاء منهجه موافقًا للفطرة الإنسانية، ووسيلةً فعالة لترسيخ المفاهيم، وتنمية الفكر، وإشراك المتعلِّمين في عملية الفهم والبناء، حتى صارت كلماته دروسًا حيّة تتجاوز حدود الزمان والمكان، وستظل نابضة بالإمداد والعطاء والتوجيه إلى يوم الدين..

ولقد استهدف النبي (ﷺ) من طرح الأسئلة واستخدام هذه المنهجية بكثرة، تحقيق عدد من الأهداف التربوية، منها:

- **إثارة الانتباه**: ذلك لأن السؤال –كما أشرنا– يلفت النظر، ويُشغل العقل، ويُشعل جذوة الفكر، ومن ثمَّ يمهّد الشخص للجواب السديد.
- **تحريك التفكير**: يدفع السامع للبحث عن المعنى، بجدية وهمة وإصرار، بدلًا من التلقين.
- **ترسيخ المعلومة، والإسعاف في استدعائها**: فما يُفهم عبر سؤال وحوار ونقاش، يبقى أثره أطول في الذهن، وأسرع وأسعف في الاستدعاء عند الحاجة.
- **تصحيح المفاهيم**: يتيح كشف الأخطاء المنتشرة ثم إعادة بناء التصور الصحيح في الذهن.
- **مشاركة المتعلم**: فيشعر المتعلِّم أنه شريكٌ حقيقي في العملية التربوية، لا مجرد فردٍ عادي يجلس في صفوف المتلقين، فالإنسان بطبعه إذا سمع سؤالًا توقّف ذهنه ليفكر: ما الجواب؟ حتى إذا جاءه البيان، ترسّخ المعنى في عقله وقلبه معا.

➢ أما عن **أنماط الأسئلة النبوية**، فكانت متنوعة ومتعددة، منها: (أسئلة تعريفية، وثانية تقويمية، وثالثة تنبيهية، ورابعة لاستثارة للعقل وشحذ الفكر، وخامسة أسئلة عملية حياتية،....). والأمثلة على ذلك كثيرة في كتب السنة والسيرة.

نماذج من أسئلة النبي (ﷺ) للصحابة، والعكس:

١. السؤال عن المفلس الحقيقي

عن أبي هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: (أَتَدْرُونَ ما المُفْلِسُ؟) قالوا: المُفْلِسُ فِينا مَن لا دِرْهَمَ له ولا مَتاعَ، فقالَ: (إنَّ المُفْلِسَ مِن أُمَّتِي يَأْتِي يَومَ القِيامَةِ بصَلاةٍ، وصِيامٍ، وزَكاةٍ، ويَأْتِي قدْ شَتَمَ هذا، وقَذَفَ هذا، وأَكَلَ

مالَ هذا، وسَفَكَ دَمَ هذا، وضَرَبَ هذا، فيُعْطَى هذا مِن حَسَناتِهِ، وهذا مِن حَسَناتِهِ، فإنْ فَنِيَتْ حَسَناتُهُ قَبْلَ أنْ يُقْضَى ما عليه أُخِذَ مِن خَطاياهُمْ فَطُرِحَتْ عليه، ثُمَّ طُرِحَ في النَّار)[٩].

٢. السؤال عن الكبائر

عن أبي بكرة نفيع بن الحارث (رضى الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: (أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟) ثَلَاثًا، قالوا: بَلَى يا رَسُولَ اللَّهِ، قالَ: (الإِشْرَاكُ باللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ -وَجَلَسَ وَكانَ مُتَّكِئًا فَقالَ- أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ)، قالَ: فَما زَالَ يُكَرِّرُهَا حتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ[١٠].

٣. السؤال عن محور صلاح الإنسان وفساده

عن النعمان بن بشير (رضى الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: (...أَلَا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً: إذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وهي القَلْبُ)[١١].

٤. السؤال عن الغيبة

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: (أَتَدْرُونَ ما الغِيبَةُ؟) قالوا: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: (ذِكْرُكَ أخاكَ بما يَكْرَهُ). قيلَ: أفَرَأَيْتَ إنْ كانَ في أخِي ما أقُولُ؟ قالَ: (إنْ كانَ فيه ما تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ ، وإنْ لَمْ يَكُنْ فيه فقَدْ بَهَتَّهُ)[١٢].

٥. السؤال عن المعيار النبوي في تحديد من هو الشهيد

عن أبي هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: (ما تَعُدُّونَ الشَّهيدَ فِيكُمْ؟) قالوا: يا رَسولَ اللهِ، مَن قُتِلَ في سَبيلِ اللهِ فَهو شَهيدٌ، قالَ: (إنَّ شُهَداءَ أُمَّتي إذنْ لَقَليلٌ)، قالوا: فمَن هُمْ يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: (مَن قُتِلَ في سَبيلِ اللهِ فَهو شَهيدٌ، ومَن ماتَ في سَبيلِ اللهِ فَهو شَهيدٌ، ومَن ماتَ في الطَّاعُونِ فَهو شَهيدٌ، ومَن ماتَ في البَطْنِ فَهو شَهيدٌ)[١٣].

٦. السؤال عن المعيار النبوي لخيرية المسلم

عن عبد الله بن عمرو (رضى الله عنه) أن رَجُلًا سَأَلَ رَسولَ اللهِ (ﷺ) أيُّ المُسْلِمِينَ خَيْرٌ؟ قالَ: (مَن سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِن لِسانِهِ ويَدِهِ)[١٤]. وكما كان يطرح الأسئلة، كان يحب أن يأله الصحابة، للعلم والتعلم.

٧. السؤال التوبيخي الاستنكاري

عندما سرقت المَرْأَةُ المَخْزُومِيَّةُ الَّتِي سَرَقَتْ، وذهب بعض أقاربها إلى أُسَامَة بنُ زَيْدٍ، حِبّ رَسولِ اللَّهِ (ﷺ)، ليكلمه في العفو عنها، فَكَلَّمَ رَسولَ اللَّهِ (ﷺ)، فتساءل النبي مستنكرا ذلك على أسامة: (أَتَشْفَعُ في حَدٍّ مِن حُدُودِ اللَّهِ)، ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ، قَالَ: (يا أيُّها النَّاسُ، إنَّما ضَلَّ مَن قَبْلَكُمْ، أنَّهُمْ كَانُوا إذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وإذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فيهم أقَامُوا عليه الحَدَّ، وايْمُ اللَّهِ، لو أنَّ فَاطِمَةَ بنْتَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا)[١٥].

٨. أسئلة سيدنا جبريل لسيدنا رسول الله

(٩) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.
(١٠) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.
(١١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.
(١٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.
(١٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.
(١٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.
(١٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

عن عبد الله بن عمر (رضى الله عنه) قال: حدَّثَنِي أبِي عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ قالَ: بيْنَما نَحْنُ عِنْدَ رَسولِ اللهِ (ﷺ) ذاتَ يَومٍ، إذْ طَلَعَ علَيْنا رَجُلٌ شَدِيدُ بَياضِ الثِّيابِ، شَدِيدُ سَوادِ الشَّعَرِ، لا يُرَى عليه أثَرُ السَّفَرِ، ولا يَعْرِفُهُ مِنَّا أحَدٌ، حتَّى جَلَسَ إلى النبيِّ (ﷺ)، فأسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إلى رُكْبَتَيْهِ، ووَضَعَ كَفَّيْهِ علَى فَخِذَيْهِ.

وَقالَ: يا مُحَمَّدُ أخْبِرْنِي عَنِ الإسْلامِ.

فقالَ رَسولُ اللهِ (ﷺ): (الإسْلامُ أنْ تَشْهَدَ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللهِ (ﷺ)، وتُقِيمَ الصَّلاةَ، وتُؤْتِيَ الزَّكاةَ، وتَصُومَ رَمَضانَ، وتَحُجَّ البَيْتَ إنِ اسْتَطَعْتَ إلَيْهِ سَبِيلًا)، قالَ: صَدَقْتَ، قالَ: فَعَجِبْنا له يَسْأَلُهُ، ويُصَدِّقُهُ.

قالَ: فأخْبِرْنِي عَنِ الإيمانِ

قالَ: (أنْ تُؤْمِنَ باللَّهِ، ومَلائِكَتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، والْيَومِ الآخِرِ، وتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ)، قالَ: صَدَقْتَ.

قالَ: فأخْبِرْنِي عَنِ الإحْسانِ

قالَ: (أنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأنَّكَ تَراهُ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَراهُ فإنَّه يَراكَ)

قالَ: فأخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ

قالَ: (ما المَسْؤُولُ عَنْها بأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ)

قالَ: فأخْبِرْنِي عن أمارَتِها

قالَ: (أنْ تَلِدَ الأمَةُ رَبَّتَها ، وأنْ تَرَى الحُفاةَ العُراةَ العالَةَ رِعاءَ الشَّاءِ يَتَطاوَلُونَ في البُنْيانِ).

قالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قالَ لِي رسول الله (ﷺ): (يا عُمَرُ أتَدْرِي مَن السَّائِلُ؟) قُلتُ: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: (فإنَّه جِبْرِيلُ أتاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ) (١٦).

٩. السؤال عن النجاة

وعندَما سأله عقبةُ بنُ عامر الجُهنى (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ): يا رسولَ اللهِ ما النَّجاةُ؟، فقال له (ﷺ): (أمسِكْ عليكَ لسانَكَ، وليَسعْكَ بيتُك، وابكِ على خَطيئتِكَ) (١٧).

١٠. السؤال عن المفاضلة بين الأعمال

عن أبي هريرة (رضى الله عنه) أنَّ رَسولَ اللَّهِ (ﷺ) سُئِلَ: أيُّ العَمَلِ أفْضَلُ؟

فَقالَ: (إيمَانٌ باللَّهِ ورَسولِهِ).

قيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قالَ: (الجِهَادُ في سَبيلِ اللَّهِ)

قيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قالَ: (حَجٌّ مَبْرُورٌ).

١١. السؤال عن أحق الناس بالبر

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: جَاءَ رَجُلٌ إلى رَسولِ اللَّهِ (ﷺ) فَقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، مَن أحَقُّ النَّاسِ بحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قالَ: (أُمُّكَ)، قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: (ثُمَّ أُمُّكَ)، قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: (ثُمَّ أُمُّكَ)، قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ: (ثُمَّ أبُوكَ) (١٨).

وهذه الأسئلة التي وجهها النبي للصحابة أو وجهت له، قليل من كثير في سيرته وسنته (ﷺ).

وهكذا كان النبي (ﷺ) يعلّم أصحابه من خلال الأسلوب الحواري الراقي، ويزرع المعنى في نفوسهم بعد أن تتهيأ قلوبهم له. وكانت أسئلته (ﷺ) أيضًا مرتبطة بالواقع اليومي، نافذة إلى القلوب لتربية الضمائر، ولم يكن يوجّه أسئلته

(١٦) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

(١٧) أخرجه الإمام الترمذي في سننه.

(١٨) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

من موقع العالِم المتسلّط، بل من موقع المربي الحكيم الذي يحترم عقول أصحابه. فكان يُنعم في الإجابة عن أسئلة الصحابة ويشركهم في الحوار، ويتيح لهم فرصة التفكير، وربما يخطئ أحدهم في الإجابة، لكنه لا يوبخه، بل يوضح الصحيح برفق ولين ورحمه، وهذا أرقى ما يكون من التربية التي تقوم على المشاركة لا على الإملاء.

وهكذا نلمس أن النبي (ﷺ) استخدم السؤال باعتباره أداةً لإيقاظ العقول، وتصحيح المفاهيم، وربط المعاني بالواقع.

لقد كان المنهج النبوي في التعليم بالأسئلة **منهجًا إنسانيا يربي على التواضع** حين يقول (ﷺ) لمن سأله عن موعد الساعة (القيامة): (...ما المَسْؤُولُ عَنْها بأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ...) [١٩]، وحين يقول الصحابة: «الله ورسوله أعلم»، فيتعلّمون ردّ العلم إلى أهله. **ويربي على التفكير الحر** حين يترك لهم مساحة للتأمل قبل أن يبيّن الجواب. **ويربي على قوة الحفظ والنقل**، إذ يسهل تداول السؤال والجواب بين الأجيال.

وبذلك يمكن القول: إن إكثار النبي (ﷺ) من الأسئلة لم يكن مجرد أسلوب عابر، بل كان مدرسة تربوية متكاملة، تمزج بين التشويق والإقناع، بين العقل والوجدان، بين النظرية والواقع، وتبقى صالحة للدعاة والمربين في كل زمان ومكان.

رمزية السؤال عن النخلة في التربية النبوية

دلالات السؤال النبوي وأبعاده الإيمانية والأخلاقية والتربوية

عن عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) أنَّ رَسولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ: (إنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لا يَسْقُطُ ورَقُهَا، وهي مَثَلُ المُسْلِمِ، حَدِّثُونِي ما هي؟).

فَوَقَعَ النَّاسُ في شَجَرِ البَادِيَةِ، ووَقَعَ في نَفْسِي أنَّهَا النَّخْلَةُ.

قَالَ عبدُ اللَّهِ: فَاسْتَحْيَيْتُ.

فَقالوا: يا رَسولَ اللَّهِ، أخْبِرْنَا بهَا؟

فَقَالَ رَسولُ اللَّهِ (ﷺ): (هي النَّخْلَةُ).

قَالَ عبدُ اللَّهِ: فَحَدَّثْتُ أبِي بما وقَعَ في نَفْسِي، فَقَالَ: لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أحَبُّ إلَيَّ مِن أنْ يَكونَ لي كَذَا وكَذَا[٢٠].

فهذا الحديث الشريف مدرسةٌ تربوية عظيمة، ومنهجٌ نبويٌّ فريد في التربية التعليم، يكشف لنا كيف ربَّى النبي (ﷺ) الصحابة، وكيف كان يحترمهم، ويحترم عقولهم، وآراءهم، وكيف استثمر المواقف اليومية في غرس المعاني الكبرى في القلوب والعقول والنفوس.

في هذا الحديثِ يَروي لنا عبدُ اللهِ بنُ عمَرَ (رَضِيَ اللهُ عنهما) أنَّ النبيَّ (ﷺ) جلس مع الصحابة الكرام، وألقى عليهم سؤالَه العجيب: (إنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لا يَسْقُطُ ورَقُهَا، وهي مَثَلُ المُسْلِمِ، حَدِّثُونِي ما هي؟) انطلقت أفكارهم إلى ما ألفوه من أشجار الصحراء، فراح كلٌّ منهم يذكر نوعًا من أشجارها التي تخرج في البوادي، وظلّوا يتأملون ويجتهدون، لكنهم ذهلوا عن النخلة –أي غَفَلوا، أو سَهَوا–، تلك الشجرة المباركة الوارفة، رمز العطاء والبركة، التي أراد النبي (ﷺ) أن يربط بها المسلم الحق: طيب الأصل، كثير العطاء، جميل الثمر، دائم النفع، لا يزول خيره في كل حال.

بين الحياء والشجاعة

ماذا نتعلم من سكوت ابن عمر عن النخلة؟

سبحان الله المعطي، فقد فتح الله تعالى بالجواب الصحيح لعبدِ الله بن عمر (رضى الله عنهما) أنَّها النخلة.

لكنَّه –وهو الفتى الذي تربى في مدرسة النبوة– استحيا أن يُفصح عمّا جاش بصدره وجال بخاطره، توقيرًا لأكابر الصحابة الحاضرين الذين لم يعرفوا الجواب.

---

(١٩) أخرجه الإمام الترمذي في سننه.

(٢٠) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

وهنا تتجلّى المفارقة العجيبة: الجواب حاضر في قلب الفتى وفي عقله، لكنه محجوب بسطوة الحياء، وهيبة الكبار، واحترامهم، حتى جاء البيان النبوي الشريف (هى النَّخْلَةُ). ويا له من شاب جليل وقور!.

- لم يتكلم عبد الله (رضى الله عنهما) لوجود كبار الصحابة، فقد استحيا أن يسبقهم، وهذا يُعلِّمنا التواضع واحترام ذوي الفضل.

ولم يلبث عبدُ الله بنُ عمر (رضى الله عنهما) أن قصَّ على أبيه ما وقع في نفسه، وكيف وقع الجواب في قلبه أنّها النخلة، لكنه استحيا أن يذكره بين يدي كبار الصحابة.

عندها التفت إليه الفاروق عمر (رضى الله عنه) وقال كلمته الخالدة [لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِن أَنْ يَكونَ لِي كَذَا وكَذَا] أي لأن تكون قلتها وأخبرتَ رسول الله (ﷺ) أنها النخلة، أحبُّ إليّ من أن يكون لِي كذا وكذا، وفي رواية ابن حبان: [أحسبه قال: حُمر النَّعم].

يا له من مشهد مهيب! أبٌ عظيم يتمنى أن ينطق ابنه بالعلم بين يدي سيدنا النبى (ﷺ)، لا طمعًا في دنيا فانية، وإنما رجاءً في دعوة نبوية تفتح له أبواب الخير وآفاق البركة، كما نالها عبد الله بن عباس (رضى الله عنهما) حين دعا له النبى (ﷺ) بأن يفقهه في الدين ويعلمه التأويل.

لقد تمنى عمر بن الخطاب أن يرى على ولده عبد الله ثمرة العلم والفهم منذ الصغر، ليكون له في الكبر الريادة والمكانة السامقة ولتُشرق عليه أنوار البركة النبوية التى لا تُقدَّر بثمن..

وهكذا نلمس بوضوح عظمة هذا الموقف التربوي؛ فالأب يُشجّعه على ألا يفوّت فرص العلم، ويُعلّمه أن بركة الدعاء النبوي أعظم من كنوز الدنيا، حتى من حُمر النَّعم التى كانت أنفس أموال العرب.

العلاقة بين النخلة والمؤمن، ولماذا هذه الشجرة بالذات:

لم يكن اختيار النبى (ﷺ) للنخلة دون غيرها من الأشجار أمرًا عابرًا؛ بل كان اختيارًا مقصودًا، يحمل دلالات تربوية وإيمانية عميقة ورمزية مؤثرة، جعلت من هذه الشجرة المباركة مرآةً صافية تعكس صورة المؤمن الحق، ومن أوجه الشبه بين المؤمن والنخلة ما يلى:

١. **ثبات الجذور**: فجذور النخلة ضاربة في أعماق الأرض، لا تقتلعها الرياح العاتية، ولا تهزها العواصف الشديدة، كذلك المؤمن، متعلق بربه، ثابت على دينه، راسخ في عقيدته، لا تزعزعه الفتن، بل تقويه المحن.

٢. **شموخها وعلوها**: النخلة شامخة تعانق السماء، سامقة بلا تكبّر، عزيزة بلا غرور، كذلك المؤمن، قلبه معلق بالله جل في علاه، علوّ همته يرفعه إلى مقامات العزة، لا إلى الكبر أو الغرور حاشاه.

٣. **دوام عطائها**: النخلة لا ينقطع خيرها؛ ثمرها موجود في كل حين، تتنوع ألوانه وأشكاله وأطواره وأحواله (بلح– رطب– تمر)، وورقها لا يسقط، فهى مصدر نفع دائم، كذلك المؤمن، نافع حيثما كان، خيره موصول في السرّ والعلن، في القول والعمل، في الرخاء والبلاء.

٤. **الانتفاع بكل أجزائها**: ثمرها غذاء، جريدها وسعفها وخشبها وليفها مادة نفع لا تنفد؛ فلا جزء منها إلا وفيه خير. هكذا المؤمن، بركة في حياته كلها: في علمه، في خُلقه، في عبادته، في صدقته، في صحبته، حتى كأن الخير يتفجّر من جميع جوانبه.

٥. **جمال شكلها وجلالها**: والنخلة آية في بهاء المنظر واعتدال القامة، فهى شامخة باسقة تُضفى على المكان بهجة وروحًا، وفي الوقت نفسه مهيبة الوقفة، تبعث في النفس معنى العزة والكرامة والجمال والجلال، وكذلك المسلم يجب أن يكون... وقد قيل قديما: [إن حسن الهندام عنوان الإنسان].

لقد شبَّه النبي (ﷺ) المؤمن بالنخلة؛ ليجعل صورة الإيمان مجسّدة أمام الأعين؛ فإذا نظرت إلى النخلة تذكرت المؤمن، وإذا نظرت إلى المؤمن وجدت فيه صفات النخلة: كثرة الخير الذي لا ينقطع، وعطاء لا يزول، دوام الظل، طيب الثمر ثبات لا يتزعزع، وشموخ لا يعرف الانكسار، وجمال وجلال وعزة ومهابة بلا استكبار.
وهكذا، اجتمع في النخلة ما تفرّق في غيرها: وكذلك المؤمن، خيره متجدد، عطاؤه موصول، لا ينقطع أثره ما دام حيًّا، فإذا فارق الدنيا بقيت آثاره شاهدة عليه. إنها معجزة نبوية في اختيار الرمز، وبلاغة ربانية في تقريب المعنى، ليظل السؤال عن النخلة درسًا خالدًا في التربية والتعليم، تتوارثه الأجيال جيلاً بعد جيل.

وهذا الحديث النبوي الشريف ليس مجرد قصة عابرة، بل هو مدرسة متكاملة للتربية والتعليم والدعوة؛ فيه نرى كيف يرسم النبي (ﷺ) معالم الطريق لبناء العقول والقلوب، وكيف يربط بين السؤال، والرمز، والعبرة.
لقد أراد أن يعلّمنا أن المؤمن ينبغي أن يكون كالنخلة: ثابتًا في جذوره، سامقًا في همته، نافعًا بثماره، لا يسقط عطاؤه، ولا ينقطع خيره على مدار الساعات والأيام والسنين والعقود.

عبد الله بن عمر.. حياته ومكانته ومناقبه وفرائده

يُعَدّ الصحابي الجليل سيدنا عبد الله بن عمر بن الخطاب (رضى الله عنهما) واحدًا من كبار فقهاء الصحابة، وعلمائهم، وعبّادهم، ورمزا من رموز الإسلام عبر التاريخ.
فقد نشأ في صحبة الحبيب سيدنا رسول الله (ﷺ) ولازمه ملازمةً كبيرة؛ حتى صار من أبرز مَن روى سنته وأحرص الناس على اتباعها.
ومن خلال سيرته تتجلى صورةٌ فريدة للمؤمن الذي جمع بين العبادة، والعلم، والورع، والزهد، والصدق، والالتزام، حتى صار قدوة للأمة.
قال الإمام ابن حجر العسقلاني في الإصابة في تمييز الصحابة: هو عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، وُلِدَ سنة ثلاث من المبعث النبوي. وقيل بأنه هاجر وهو ابن عشر سنين، ومات سنة أربع وثمانين.
وقد ثبت عنه أنه كان له يوم بدر ثلاث عشرة سنة –وبدر كانت في السنة الثانية من الهجرة– وأسلم مع أبيه وهاجر، وعُرض على النبي (ﷺ) المشاركة في يوم بدر فاستُصغِر، ثم عُرض عليه في أُحد فاستُصغِر كذلك، ثم في الخندق عَرَض نفسه على النبي (ﷺ) وهو يومئذ ابن خمس عشرة سنة، فأجازه.
وكان من المكثرين رواية للحديث عن سيدنا رسول الله (ﷺ)، وروى أيضًا عن: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وأبي ذر، ومعاذ، وعائشة، وغيرهم.
وروى عنه من الصحابة: جابر، وابن عباس، وغيرهما.
أما بَنوه فهم: سالم، وعبد الله، وحمزة، وبلال، وزيد.

مناقبه:

يقول عبد الله بن مسعود (رضى الله عنه): "إن أملك شباب قريش لنفسه في الدنيا عبد الله بن عمر".
وقال: "مات ابن عمر وهو مثل عمر في الفضل".
وفي "معجم البغوي" بسند حسن عن سعيد بن المسيب (رضى الله عنهم جميعا) قال: "لو شهدت لأحد من أهل الجنة لشهدت لابن عمر".
وقال طاووس: "ما رأيت رجلًا أورع من ابن عمر".
وأخرج ابن المبارك في "الزهد" عن حيوة بن شريح، عن عقبة بن مسلم، أن ابن عمر سُئل عن شيء فقال: "لا أدري". ثم قال: "أتريدون أن تجعلوا ظهورنا جسورًا في جهنم تقولون: بهذا أفتى عمر؟!".

وكان لا يترك الحج، وكان إذا وقف بعرفة يقف في الموقف الذي وقف فيه رسول الله (ﷺ). وقيل: إنه كان أشد الناس اتقاء للحديث عن رسول الله (ﷺ).

وفي "الزهد" للبيهقي بسند صحيح عن عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر قال: سمعت أبي يقول: "ما ذكر ابنُ عمر رسولَ الله (ﷺ) إلا بكى".

وعن نافع: كان ابن عمر إذا قرأ هذه الآية: (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ...) (الحديد: ١٦) ، يبكى حتى يغلبه البكاء.

وقيل لنافع: ما كان ابن عمر يصنع في منزله؟ قال: الوضوء لكل صلاة، والمصحف فيما بينهما. وكان ابن عمر يصلى ما قُدِّر له، ثم يأوي إلى فراشه فيغفى إغفاء الطائر، ثم يقوم فيتوضأ ويصلى، ثم يرجع. فكان يفعل ذلك في الليل أربع مرات أو خمسًا. وعن نافع أيضًا: كان يصوم في السفر، ولا يكاد يُفطر في الحضر.

وأخرج البغوي من طريق بن القاسم عن مالك قال: "أقام ابن عمر بعد النبي (ﷺ) ستين سنة يقدم عليه وفود الناس".

وكان (رضى الله عنه) من أهل الورع والعلم، وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله (ﷺ) ، شديد الاحتياط والتوقى في فتواه، وكل ما يأخذ به نفسه. وكان لا يتخلف عن السرايا على عهد رسول الله (ﷺ)، وكان أعلم الصحابة بما فعل النبي (ﷺ) في المناسك.

وقال رسول الله (ﷺ) لحفصة بنت عمر: إن أخاك عبد الله رجل صالح لو كان يقوم الليل. فما ترك ابن عمر بعدها قيام الليل.

قال جابر بن عبد الله (رضى الله عنه): "ما منّا أحدٌ إلا مالت به الدنيا، ومال بها ما خلا عمرُ وابنُه"، فما كان لهما من الدنيا شيء فقد كانا زاهدين فيها، معرضين عنها.

وروى ابن وهب عن مالك (رضى الله عنهم): "بلغ عبد الله بن عمر ستًا وثمانين سنة، وأفتى في الإسلام ستين سنة، ونشر نافع عنه علماً جمًّا" (٢١).

من العبادلة الأربعة والمكثرين الستة:

لقد تأثر عبد الله بن عمر بالنبي (ﷺ) تأثرًا بالغًا، فشبّ على طاعة الله والاقتداء برسوله في كل الأمور دقيقها وكبيرها وجليلها.

وهو **أحد العبادلة الأربعة**: وهم: (عبد الله بن عباس – عبد الله بن عمر بن الخطاب– عبد الله بن عمرو بن العاص– عبد الله بن الزبير).

وهو **أحد الستة المكثرين** رواية للحديث عن سيدنا رسول الله (ﷺ): فقد ذكر العلماء ستةً من أصحاب رسول الله ﷺ هم أكثرُ من روى عنه الحديث، وهؤلاء هم:

- أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسى، المتوفى سنة ٥٨ أو ٥٩ هـ بالمدينة.
- عبد الله بن عباس، المتوفى سنة ٦٨ هـ بالطائف.
- أنس بن مالك الأنصاري، المتوفى سنة ٩٠ هـ بالبصرة.
- أم المؤمنين عائشة، المتوفاة سنة ٥٨ هـ بالمدينة.
- جابر بن عبد الله الأنصاري، المتوفى سنة ٧٨ هـ بالمدينة.
- عبد الله بن عمر العدوي القرشي، المتوفى سنة ٨٤ هـ بالمدينة.

(٢١) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، ومعه الاستيعاب في أسماء الأصحاب لابن عبد البر المالكى، دار الكتاب العربي – بيروت، الجزء الثاني، ص ٣٣٣ – ٣٤١، بتصرف.

أخلاقه وصفاته:

امتاز ابن عمر (رضى الله عنهما) بأخلاق رفيعة، من أبرزها:

١. **الورع الشديد**: فكان يتورع عن الفتوى تورعا شديد. وقد قال حصين الأسدي معاتبا الذين لا يتورعون عن الفتوى ويتساهلون فيها، قال: "إن أحدكم ليفتى في المسألة لو وردت على عمر بن الخطاب لجمع لها أهل بدر" (٢٢).

٢. **الزهد في الدنيا**: ترك زخرفها وزينتها، وآثر العيش اليسير.

٣. **الصدق والأمانة**: وقد تعلم هذه الأخلاق من مدرسة النبوة.

٤. **التواضع**: عاش بين الناس كواحدٍ منهم، يخالطهم ويخدمهم ويقوم على حاجاتهم.

٥. **العبادة والخشوع**: كان من أكثر الصحابة صلاةً وصيامًا وقيامًا.

علمه وفقهه وفرائده:

كان عبد الله بن عمر (رضى الله عنه) على الرغم من صغر سنه، من كبار فقهاء الصحابة، وقد تميز بخصائص بارزة وفريدة، منها:

- الملازمة الدقيقة للنبى ﷺ وصحبته له فقد لازم الرسول في حضره وسفره، وكان من أخصّ تلاميذه.
- التحري والضبط في الرواية، والحرص على العمل بالعلم.
- كان يتتبع أماكن وأفعال النبى (ﷺ) ليقلده فيها، مثل النزول في نفس المواضع أثناء السفر، واتباع هيئته في العبادة.
- خدمته للإسلام بالعلم، فقد كان مرجعًا للناس في الفتوى، وملجأً لهم في النوازل، وكان يفتى بكتاب الله وسنة رسوله بلا تكلّف.
- الاعتدال والابتعاد عن الفتن، حيث اعتزل الفتن ولم يشارك في القتال بين المسلمين، وكان يدعو إلى السلم والاجتماع.
- حسن العبادة، كان يصوم الدهر ويحيى الليل بالصلاة، ويكثر من قراءة القرآن والتدبر فيه.
- الإحسان للناس، فكان كريم النفس، يعتق العبيد ويطعم الفقراء، ويواسى الأرامل واليتامى.

خدمته الفريدة للإسلام

إن أعظم ما قدمه ابن عمر للإسلام يتمثل في نقل السنة النبوية وحفظها عمليًا وقلبيًا.

فقد كان موسوعة لسنة النبى (ﷺ) وأقواله وأفعاله، فحمل للأمة ميراثًا نقيًا. وكان مثالاً يُحتذى في كل خير إذ قدّم نموذجًا للمؤمن الملتزم الذي يوازن بين العلم والعمل، والعبادة والجهاد، والورع والدعوة. كما أسهم بمواقفه الحكيمة في حفظ دماء المسلمين وقت الفتن، فكان صوته داعيًا إلى الوحدة واجتماع الكلمة.

وتبقى سيرة سيدنا عبد الله بن عمر(رضى الله عنهما) نبراسا ومثالا مضيئا في تاريخ الإسلام، حيث اجتمعت فيه خصال الخير كلها: الإخلاص، التقوى، الدين، العلم، الورع، الحكمة، الرحمة، والإنسانية .

فهو من الصحابة الذين:

- حملوا ميراث النبوة بحذافيره،
- وحفظوا السنة،
- ونشروا العلم،
- وقدّموا قدوة عملية خالدة للأمة.

(٢٢) ابن القيم: بدائع الفوائد ط الكتاب العربي – المجلد الثالث – المكتبة الشاملة ص٢٧٦ .

وإن الأمة اليوم بأشد الحاجة إلى استحضار سيرته والتأسي بخلقه وورعه وعلمه، ليظل منارًا يضيء طريق السالكين [٢٣].

أيها الأخوة المؤمنون: أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على مَن لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن سيدنا محمدًا (ﷺ) رسولُ الله.. عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله.. يقول الحق (تبارك وتعَالَى): (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢).

بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا يَسُوقُ الْخَيْرَ إِلَّا اللَّهُ. بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا يَصْرِفُ السُّوءَ إِلَّا اللَّهُ. بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، مَا كَانَ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ. بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. أما بعد يا عباد الله...

ابن عمر وراعي الغنم وصرخة الإيمان: فأين الله؟

تلك الصرخة التي حولته في لحظة من الفقر إلى الغنى

يروي البيهقي عن زيد بن أسلم: أن عبدَ الله بن عمر (رضى الله عنهما) مرَّ ذات يوم براعي غنم.

فقال له مختبرًا: هل من جَزَرة؟ أي: شاة تُجزَر وتُذبح للأكل.

فأجابه الراعي بكل أمانة: ليست لي، إنما هي لربها. أي صاحبها الذي يعمل عنده.

فأراد ابن عمر أن يختبر إيمانه ووازعه الداخلي، فقال له: قل له أكلها الذئب!.

فإذا بالراعي، الفقير البسيط، يرفع رأسه ويقول بكلمة هزَّت أركان القلوب وعروشها: فأين الله؟!!

كلمة واحدة هزّت قلب ابن عمر، وكشفت عن معدن الإيمان الحقيقي في صدر هذا الراعي؛ فلم تغره فرصة الدنيا، ولم تدفعه شهوة البطن إلى خيانة الأمانة، بل كان يستحضر مراقبة الله في كل حين.

عندها لم يتمالك ابن عمر نفسه، فأراد أن يُكافئ هذا المؤمن؛ فاشترى الغنم من صاحبها، ثم أعتق الراعي، ووهب له الغنم كلها.

وهكذا تحوّل راع بسيط إلى مالكٍ حر، بفضل كلمة صدق خرجت من قلب عامر بتقوى الله.

عطاءات حديث النخلة

وخمسون مبدأ تربويا ملهما؛ لبناء الشخصية الصالحة

إن حديث النبي (ﷺ) وتشبيهه المسلم بالنخلة ليس مجرد تشبيه بلاغي، بل هو نموذج تربوي مفيد، يفيض بالمعاني والدلالات، ويرسم ملامح المنهج النبوي في التربية والتعليم.

لقد استخدم النبي ﷺ أساليب رائعة في التعليم تجعل المتعلم يفكر بدلاً من أن يردد فحسب.

فقد اعتمد على السؤال بدلاً من الإملاء؛ ليشغل عقول الصحابة، ويستثير التفكير الاستشرافي بتوجيههم للبحث والمقارنة بين الأشجار، كما نشّط التفكير الناقد ليوازنوا ويقيّموا دقة الملاحظة، وحرص على المشاركة الجماعية دون تمييز أحد.

(٢٣) لمزيد من المعلومات، حول سيرة سيدنا عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) يراجع: الذهبي، سير أعلام النبلاء، وابن سعد، الطبقات الكبرى، والنووي، تهذيب الأسماء واللغات، وابن كثير، البداية والنهاية، والطبري، تاريخ الأمم والملوك، والمزي، تهذيب الكمال.

كما طبّق التربية بالصمت لتعليم أدب الاستماع، مع مراعاة أن السكوت أحيانًا يفوّت العلم، وأظهر أهمية إشراك الناشئة حتى صغار السن يمكنهم الفهم والإبداع.

إنها تربية عملية تجعل الصحابة يبدعون ويستوعبون، وهى ما ينقص كثيرًا من تعليمنا اليوم.

وإذا أمعن المربّي النظر في هذا الحديث، وجد فيه عشرات المبادئ التربوية التى تصلح لبناء الإنسان في كل زمان ومكان، منها:

أولًا: منهج الحوار والمشاركة

- التربية بالسؤال لا بالإملاء.
- إثارة التفكير الاستشرافي لدى المتعلم.
- تعليم التفكير الناقد وربط الجزئى بالكلى.
- ربط المعاني المجردة بالمحسوسات القريبة.
- إشراك الجميع في الحوار، مهما كان مستواهم أو عمرهم.
- احترام عقل السامع مهما كان صغيرًا أو كبيرًا.
- الصبر على إجابة المتعلمين وعدم استعجالهم.
- فتح المجال لاختلاف الآراء والتعبير عنها.
- إشعار الجميع بقيمة مشاركتهم، فلكل صوت أثر.
- جعل المجالس العلمية مجالًا للتدريب العقلى لا مجرد التلقين.
- عدم الاستهانة أو السخرية من أي رأي يصدر من أي أحد.

وفي حياتنا اليومية، سواء في الأسرة أو المدرسة أو مكان العمل، لابد من إشراك الآخرين في الحوار والاستماع لهم وبما يعزز الثقة بالنفس ويحفز على الإبداع.

ثانيا: منهج القيم الأخلاقية والتربوية

- ترسيخ قيمة الحياء بين يدي الكبار.
- بيان أن الحياء لا ينبغى أن يمنع من قول الحق.
- الاعتراف بفضل المتميز ولو كان صغيرًا.
- احترام التميز مهما كان صاحبه باعتباره رزقا من الله، وليس حكرًا على الكبار.
- توضيح أن للعلم مراتب وفتوحات.
- الاستفادة من المواقف اليومية في التعليم.
- الحث على التفكير الجماعى.
- تعزيز الثقة بالنفس عند الناشئة.
- ترك المتعلم يكتشف بنفسه ويجتهد.
- إعلاء قيمة الأدب مع الشيوخ والتواضع أمامهم.

ويندرج تحت هذا المنهج أيضًا: (الاحترام المتبادل – إتاحة المجال للتعلم الذاتي– الاعتراف بجهود الآخرين، ....) لتصبح هذه العناصر بمثابة قيم تربوية عملية يمكن غرسها وتطبيقها في أي مجتمع أو مؤسسة تعليمية.

ثالثا: منهج القدوة والسلوك

- أن المؤمن ينبغى أن يكون كالنخلة في ثباته.
- أن المؤمن نافع للناس في كل أحواله.

- أن دوام الخير من صفات المؤمن.
- أن الثبات على الحق سمة المؤمن.
- أن الحياء زينة المؤمن ويجب أن يكون قدوة للآخرين.
- أن المربي الناجح يزرع ولا يفرض.
- أن العلم بلا أخلاق لا قيمة له.
- أن التربية تحتاج إلى رفق وصبر ورحمة وجهد.
- المؤمنُ ينبغي أن يكون في تعلُّم دائم، وعطاءٍ متواصل
- أن النفع الحقيقي هو ما يبقى أثره.

ولا ريب في أن الثبات على المبادئ، والقدوة الحسنة، والعمل الصالح المستمر، كلها تُسهم في بناء مجتمع متماسك ومؤثر.

رابعا: منهج التربية بالتطبيق العملي وربط العلم بالواقع

- ✓ أن التعليم النافع هو ما يغير السلوك.
- ✓ أن الله يفتح على عباده بما يشاء.
- ✓ أن المؤمن لا ييأس أبدا.
- ✓ أن الأسلوب النبوي يجمع بين التشويق والتدريب.
- ✓ أن القيم التربوية أساس بناء الأمة.
- ✓ أن التربية بالأمثلة الحية أبلغ من مجرد الكلام.
- ✓ استخدام الأمثلة الحسية في التربية.
- ✓ المقارنة بين الأشياء لتقوية ملكة التمييز.
- ✓ أن التربية تشمل العقل والروح معًا.
- ✓ أن الفهم الصحيح يرفع قدر الإنسان.

والتعليم العملي، وتجربة الحياة، واستخدام الأمثلة اليومية تجعل المفاهيم أسهل للفهم وأكثر رسوخًا في النفوس.

خامسا: منهج الرفق والرحمة

- أن الرفق بالمتعلمين وعدم تعنيفهم عند الخطأ.
- أن المؤمن قدوة في عطائه الدائم.
- أن الحب والدعم يرسخان التعلم.
- توجيه التعلم بلطف دون إجبار أو غلظة.
- إشعار المتعلمين بالقيمة والاهتمام.
- إشراك الأطفال والشباب بطريقة مرحة تربطهم بالعلم.
- تعليم القيم بالممارسة والنشاط واللعب والمحاكاة.
- إظهار الرحمة والحنان مع الضعفاء والصغار.
- إشعار الجميع بالأمان والتقدير أثناء التعلم.
- كل حديث للنبي ﷺ يحمل نورًا متجددًا يصلح لكل زمان ومكان.

وهكذا فإن الحب، والرفق، والتشجيع، كلها أساليب تثري التعلم وتجعل من المدرسة أو البيت أو مكان العمل بيئة إيجابية تحفز على النمو الشخصي والسلوكي.

كيف نستفيد من العطاءات التربوية والأخلاقية في حديث النخلة في واقعنا المعاصر؟

ويظل حديث النخلة مدرسة نبوية متجددة، يمكن أن نستثمر عطاءاتها التربوية والأخلاقية في بناء أجيالنا، وصناعة إنسان معاصر ثابت ونافع، وذلك من خلال:

- ✓ تعليم الأولاد الحياء المقرون بالشجاعة: والتأدب مع الكبار دون أن يمنعهم من إبداء الرأي والمشاركة الفاعلة.
- ✓ التربية بمنهج النبوة: بالأسئلة والحوار لا بمجرد الإملاء والتلقين، ليتعلم الطفل كيف يفكر ويستنبط.
- ✓ غرس حب التفكير والنقد البناء: ليتعوّد الناشئة على استخدام عقولهم بوعي ومسؤولية.
- ✓ الثبات على الدين مع العطاء للناس: كما تثبت جذور النخلة في الأرض، وتظل تعطى ثمارها وظلها بلا انقطاع.
- ✓ الوعي بأن العلم نور من الله: نطلبه بخشوع وتضرع، لا بغرور أو تعالٍ.
- ✓ أن يكون كل واحد منّا نخلةً في محيطه: ثابتًا في المبادئ، معطاءً في الخير، نافعًا لأهله ومجتمعه، لا ينقطع خيره ولا يسقط عطاؤه.

***

نسأل الله أن يبارك في أوطاننا ويحفظها من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللَّهُمَّ احفظها من كل سوء، وبارك لنا فيها، واجعلها دار أمن وإيمان، وسلامٍ وإسلام. اللَّهُمَّ من أرادها بسوء فاجعل تدبيره تدميره، وردّ كيده إلى نحره.

اللهم احفظ مصر شرقها وغربها، شمالها وجنوبها، طولها وعرضها وعمقها، بحارها وسماءها ونيلها، ووفق يا ربنا قيادتها وجيشها وأمنها وأزهرها الشريف، وعلماءها، واحفظ شعبها، وبلاد المحبين يا رب العالمين.

اللهم اشف مرضانا وارحم موتانا اللهم طهّر قلوبنا من الكبر، وزيّنها بالتواضع،اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وصلِّ اللهم وسلِّم وبارِك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وفقنا الله للاستعانة بنعم الله على طاعة الله، وعلى ترقية الحياة...

وفي النهاية نشكر الله تعالى العظيم الأعظم، الكريم الأكرم، الحكيم الأحكم، الذي هيأ لنا الأسباب، وأفاض علينا وأثاب، وألهمنا جليلَ الخطاب، وفتح لنا واسعَ الأبواب في العلم والخير والنفع.

(...رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) (النمل: ١٩)، (..الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ..) (الأعراف: ٤٣)... اللهم تقبل هذا العمل من الجميع... وبالله تعالى التوفيق

خادم الدعوة والدعاة د/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

والحاصل على المركز الأول على مستوى الجمهورية في خدمة الفقه والدعوة (وقف الفنجري ٢٠٢٢م)

المدير التنفيذي السابق لرابطة الجامعات الإسلامية- عضو نقابة اتحاد كُتَّاب مصر

واتس آب: ٠١١٢٢٢٢٥١١٥ بريد إلكتروني: drsoliman٥٥٥٥٥@gmail.com

تم تدشين صفحة معارج الدعاة للدكتور أحمد علي سليمان، للإسهام في إثراء العمل الدعوي والدعاة يرجى متابعتها ونشرها

https: //www.facebook.com/share/١٦u٦EDacEw/?mibextid=LQQJ٤d